

مَنْ يَنْقُدُنِي يُكَمِّلُنِي

عزّام محمد زقزوق*

ما أرقى وَأَنْقى بدء... مَسِيرَةَ التَّغْيِيرِ وَالتَّهَضُّبَةِ دائِمًا مِنْ مُسْتَوَى الاعْتِرَافِ بِأَنَّنا جَمِيعًا مُقْتَرِفُونَ لِنِسْبَةٍ مِنْ باطِلٍ! أَوْ خَطِئًا! أَوْ وَهْمٍ! فَنُبَادِرُ بِاجْتِثَاثِهَا مِنْ تَلَافِيْفٍ أَدْمَغْتِنا! وَدَوَاخِلِ أَنْفُسِنا وَصُدُورِنا!
عندما أُعَايِشُ رُودَ أفعالِ "Reactions" ولا أقول استِجاباتِ "Responses" نُخَبِنَا تِجَاهَ التَّقْدِ وَالنُّصْحِ المُوجَّهَ لِمَسِيرَتِهِمْ وَسِيرَتِهِمُ التَّغْيِيرِيَّةِ النُّضُويَّةِ... يَنْتَابُنِي الشُّعُورُ بِالْحُزَنِ، وَيَتَمَلَّكُنِي الإِحْساسُ بِالأسْفِ، لا بل والشُّعُورُ بِالرِّثاءِ لِحالِ واقِعِنا، وما سيؤول إليه!

أكتفي بِتَبْيَانِ سببِ شعوري هذا، ضمن مفهوم قبول النِّقدِ والنصيحةِ من أيِّ كان...! نعم؛ من أيِّ كان! وَضَرِيهِ لِلإنْسَانِيَّةِ المَثَلِ الأعلىِ في نفسه (صلى الله عليه وسلّم) وَصَحَابَتِهِ الكرامِ (رضي الله عنهم) أَجمَعين؛ في قبولِ الحَقِّ وَالصَّوابِ وَالصَّحِيحِ؛ حتى من عَدُوِّهِ...! أكتفي بدعوتكم لِتَدْوُقِ وتَأْمُلِ النِّصَّ الشَّرْعِيَّ (Text) الآتي:

"أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلّم) فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ (أي تجعلون لله عزَّوجلَّ نِدًّا) وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: ما شاءَ اللهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلّم) إِذا أرادوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. وَيَقُولُوا: ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتُ"

الرَّوَايَةُ: قُتَيْبَةَ بَنْتُ صَيْفِي الجُبَيِّ – المَحَدِّث: الألباني – المِصْدَر: صحيح النَّسَائِي – الرِّقْم (3782). خلاصة حكم المَحَدِّث: صحيح.

لن أُعَلِّقَ على هذا النِّصِّ الشَّرْعِيَّ العَمَلِيَّ الثَّابِتِ في قبولِ الحَقِّ وَالصَّوابِ وَالصَّحِيحِ من أيِّ كان!! هذا فضلًا عن الأتباع والمريدين والأنصار!!

مَتَى سَنَدْرُكَ... فَتَنَدَارُكَ... فِي ثِقَافَتِنَا العَرَبِيَّةِ المعاصرة! وَلَيْسَ فِي أَصْلِ إِسْلَامِنَا العَرَبِي! أَنَّ النُّصْحَ
وَالنَّقْدَ، وَحَتَّى النَّقْضَ! فِي حَقِيقَتِهِمْ هَدَايَا تُهْدِي إِلَيْنَا مِنَ الصَّدِيقِ وَالخَصِمِ... عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ!!
فَفِي وَاقِعِنَا المعاصر هَذَا، مُجَرَّدُ نَصْحِكَ وَنَقْدِكَ لِمَظَاهِرِ الانحِطَاطِ... وَظَوَاهِرِ التَّخَلُّفِ... وَتَسْمِيَّتِهَا
بِأَسْمَائِهَا، كَفَيْلٌ بِجَعْلِكَ فِي نَظَرِ الأَعْرَابِ فِي مَقَامٍ مِنْ يُسِيءُ وَيُتَبَطُّ! لَا مَنْ يُبَيِّنُ وَيُصَوِّبُ!!
وَأَخْتِمُ لَهُؤَلَاءِ الأَفْرَادِ وَتِلْكَ الكِيَانَاتِ بِالتَّوَجِيهِ الَّذِي كَتَبَهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِالعَزِيزِ (يَرْحَمُهُ اللهُ) إِلَى عَامِلِهِ
فِي المَوْصِلِ يَحْيَى الغَسَّانِي، وَأَمْرِهِ إِيَّاهُ: "أَنْ يَأْخُذَ النَّاسَ بِالبَيِّنَةِ، وَمَا جَرَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ، فَإِنْ لَمْ
يُصْلِحْهُمُ الحَقُّ، فَلَا أَصْلَحْهُمُ اللهُ!"

نعم! مَنْ لَا يُصْلِحُهُ الحَقُّ، فَلَا أَصْلَحَهُ اللهُ!!

التاريخ: 26، جُمادى الأولى (05)، 1438هـ

الموافق: 10، كانون الثاني (01)، 2017م

*مستشار ومُدَرِّب وباحث إدارة مشروعات